مصادر الإسلام

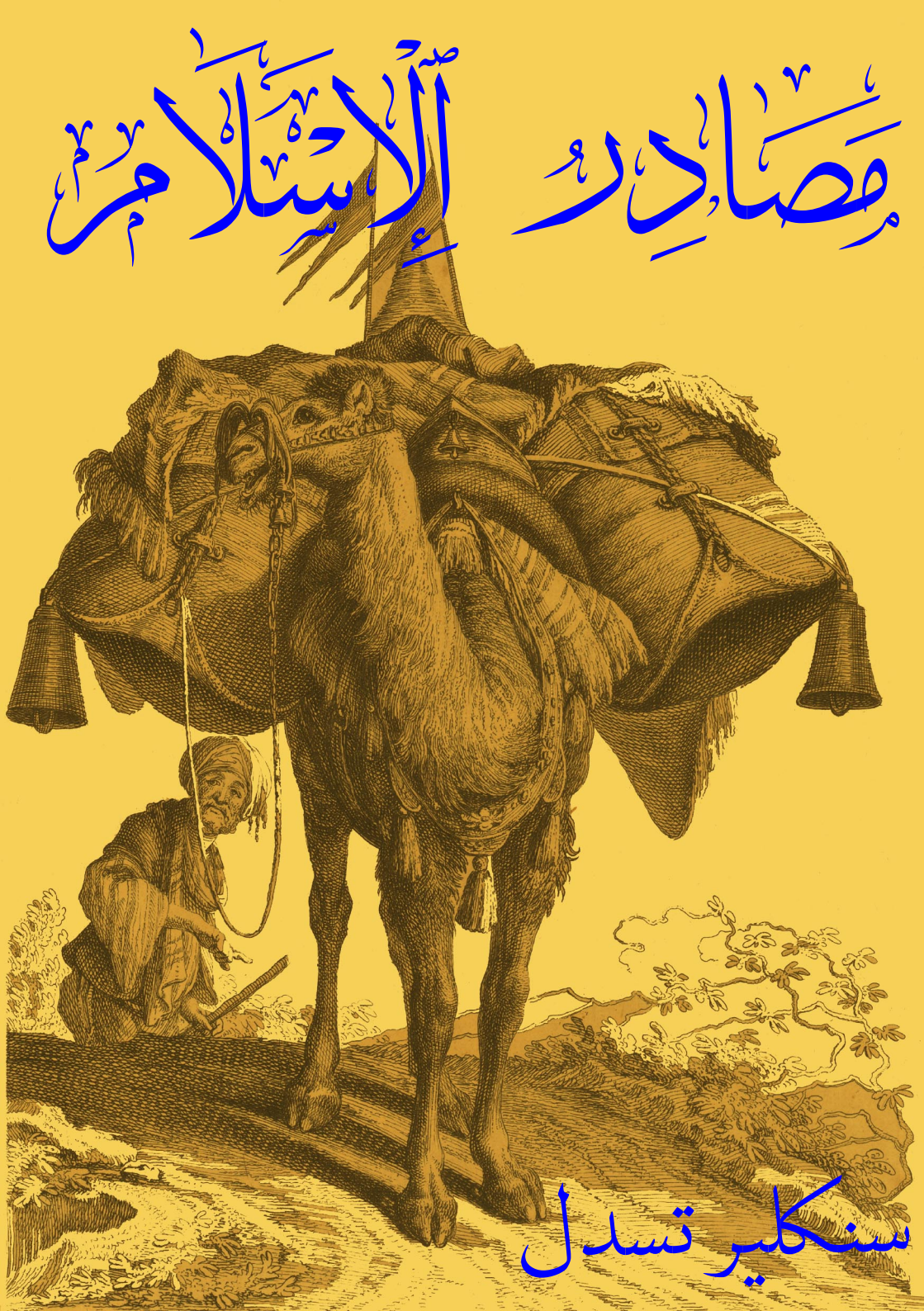

سنكلير تسدل

تنوير الأفهام

في

مصادر الإسلام

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعضَ ٱلَّذي نَعِدُهُمْ، أَوْ نَتَوفَّيَنَّك، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلاغُ، وعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾

(سورة الرعد ١٣: ٤٠)

تأليف

الدكتور سنكلير تِسدَل

WATER AND LIFE ● VIRGINIA ● UNITED STATES

نسخة عينة 39 صفحة من 182

اسم الكتاب: تنوير الأفهام في مصادر الإسلام
الناشر: ماء وحياة
اسم المؤلف: سنكلير تسدل
الطبعة الأولى القاهرة سنة ١٩٠٢م
صدر عن المطبعة الإنكليزية الأميركانية ببولاق مصر
جميع الحقوق لهذه الطبعة محفوظة
الإعداد والتنقيح: كريس أندرو

Book Name: The Original Sources of The Quran
W. St. Clair Tisdall
1st Arabic Printing 1902 in Cairo, Egypt
New Digital Edition: 2023
www. https://www.waterandlife.net
Email: thegoodway2015@gmail.com
©
All rights reserved

WATER AND LIFE ● VIRGINIA ● UNITED STATES

فهرست الكتاب

مقدمة ٤
١ - تقديم ٧
٢ - تأثيرات عرب الجاهلية ١١
٣ - تأثيرات الصابئين واليهود ٢٢
الصابئون: ٢٢
اليهود: ٢٣
(١) قصة قايين وهابيل: ٢٧
(٢) قصة إنقاذ إبراهيم من نار نمرود: ٢٩
(٣) حكاية ملكة سبا وكيفية مجيئها إلى سليمان: ٣٧
(٤) قصة هاروت وماروت: ٤٥
(٥) قصص وفروض اقتبسها المسلمون من اليهود: ٥٦
(٦) في اقتباسات أخرى: ٥٩
٤ - تأثيرات الفرق النصرانية الضالة ٧٠
(١) قصة أصحاب الكهف: ٧١
(٢) قصة مريم: ٧٢
(٣) قصة طفولية المسيح عيسى: ٨٤
(٤) أشياء أُخِذَت من كتب المسيحيين وأصحاب البدع والضلالة: ٩٤
٥ - تأثيرات زردشتية في القرآن والحديث ١٠٤
(١) قصة معراج محمد: ١٠٦
(٣) قصة خروج عزازيل من جهنم. ١٢٢
(٤) نور محمد ١٢٥
(٥) الكلام على الصراط: ١٢٧
(٦) في ذكر قضايا قليلة مهمة: ١٢٩
(٧) ختام الكلام: ١٣١
٦ - تأثيرات الحنفاء على الإسلام ١٣٣

نسخة عبده صفحة من 39 صفحة 182

مقدمة

﴿بسم الله الهادي﴾

الحمد لله الذي ميَّز الإنسان بالنُّطق والبيان، وخصَّه بالعقل، أشرف المواهب وأسماها، وأجلّ النِّعم وأسناها، وبه يتوصَّل إلى معرفة الرحمٰن الرحيم، ويهتدي إلى المنهج القويم، فيتمتع في الآخرة بفردوس النعيم، ويحظى بالسعادة الجليلة والنعم الجزيلة. قال الله: «أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر». فاللَّهم اجعلنا من عبادك المختارين، وهَبْنا من لدنك عقولاً سليمة وأفكاراً مستقيمة توصِّلنا إلى الحق والحياة، لنفوز بنعيم الخلد والنجاة، فقد مددنا إليك يد الاستعانة وبخعنا إليك بالاستكانة، وأنت نِعم المولى ونِعم المعين.

لا يخفى على ذوي الألباب المشهورين بالتحقيق، أن جمال الأجسام السماوية العجيب، ونظام الكائنات الأرضية الغريب، وترتيب الموجودات على ما نراه من الإتقان والإحكام، لم يأتِ من العدم إلى الوجود بدون سبب وعلَّة، بل بالعكس، فقد أوجدته يد المولى، سبب الأسباب وواجب الوجود، البارئ القدير، سبحانه. فعلى القياس نفسه نقول إنَّ كل شيء، سواء كان فعلاً أو قولاً أو فكراً، لابدَّ أن يكون له سبب خاص لا يمكن أن يحصل بدونه. فلا بدَّ للأثر من مؤثِّر وللمعلول

نسخة بجودة 99 صفحة من 182

من عِلَّة والمسبَّب من سبب. وبما أنَّه توجد في هذه الدنيا مذاهب شتى وأديان متنوعة مختلفة، فمن الواضح أنه لابدَّ أن يكون لكل دين في هذه الأديان (حقيقياً كان أو كاذباً) مصدر صدر منه، كالمجرى الذي يصدر من الينبوع. وبما أن كثيرين من البشر اعتقدوا بهذا الدين وجعلوه أساس رجائهم ومنتهى غايتهم، رأيت أن أضع الصفحات التالية، مستعيناً بقوة الله في البحث بدقَّة في مصادر الإسلام، لأن اليهود والمسيحين لم يقبلوه، بل قالوا إنَّهم بعد البحث والتدقيق لم يجدوا بيِّنات إلٰهية وأدلَّة قوية تؤيِّد صدقه. أما المسلمون فكثيرون منهم يتمسَّكون بدينهم لأنهم وجدوا آباءهم وأجدادهم عليه، فاعتنقوه بدون بحث. كما أن بعضهم رفضوه سراً أو جهراً لأنهم لم يجدوا من يستطيع أن يبرهن لهم صدق ما ورثوه عن آبائهم، ولم يقنعهم أحدٌ بأنه الدين الحق الوحيد.

وقد ألَّف بعض علماء المسلمين كتباً مثل «ميزان الموازين» و«حسام الشيعة» وما شاكلهما، ولكنها لم ترقِ غليل المفكر العاقل، لأن أدلتها لا تزيل الشبهات ولا تدرأ المشاكل من عقل الباحث عن الحق. لقد أظهر مؤلفو الكتب الدفاعية عن الإسلام غيرة عظيمة في تأييد ديانتهم، وبذلوا الجهد ليدحضوا اعتراضات من طعنوا في أدلته، ولكن معلوماتهم لم تكن قدر غيرتهم المحمودة.

لهذا رأيتُ أن أبحث وأدقِّق في أركان الإسلام وأساساته ومصادره مستعيناً بالله سبحانه. ومع اعترافي بالعجز والتقصير، فقد بذلت الجهد المستطاع في البحث والتحقيق، وأتيت بنتيجة تحقيقاتي في هذا الكتاب

نسخة عينة 39 صفحة من 182

ليتأمل فيها القارئ، راجياً أن يستفيد منه كل من طالعه بالانتباه والتروي، فيتأكد من معرفة مصادر الإسلام وأصل هذا النهر العظيم الذي فاضت مياهه في كثير من الآفاق وروت ميادين ومذاهب البلاد الواسعة في أنحاء الدنيا الشاسعة.

(تنبيه)

العبارات التي استشهدنا بها من الكتب العديدة بلغات متنوعة، ترجمناها إلى اللغة العربية. غير أنَّنا أوردناها في خاتمة هذا الكتاب بلغتها الأصلية بنصّها وفصّها ليتيسر للمطالع المنصف الباحث عن الحق مطالعتها والتأمل في مبناها ومعناها.

وحينئذٍ يتضح له أنَّ الترجمة في غاية الدقة منزهة عن الزيادة والنقصان. وإذا كان لا يتيسَّر له المقابلة والمراجعة لعدم معرفته تلك اللغات، فعليه أن يستعين بمن له إلمام ومعرفة بها للوقوف على معانيها. ويمتحن أمانة المؤلف في نقله وترجمته ويتأكد من صحتها وحقيقتها. وعلى الله التوفيق إلى سواء الطريق.

نسخة عينة 39 صفحة من 182

١

تقديم

قال علماء الإسلام إنَّ الله أنزل دينهم بأجمعه على محمد، فجعلوا بنيان الديانة الإسلامية وأساسها على حقيقة رسالته، واعتبروا من أنكر نبوَّة محمد ورسالته عدواً كافراً، لأنهم يرون أن إنكار ذلك يعني استئصال ديانتهم وملاشاتها. وقرَّروا أن أربعة أركان الدين الصحيح هي (١) القرآن، و(٢) الحديث، و(٣) الإجماع، و(٤) القياس. ولا لزوم للكلام عن الركنين الثالث والرابع، لأنهما لن يتناقضا مع القرآن والأحاديث.

ومن المؤسف أن المسلمين لم يتَّفقوا على الأحاديث الصحيحة، فالأحاديث التي يعتبرها أهل السُّنة صحيحة تختلف عن الأحاديث التي يتمسَّك بها الشيعة والوهابيون. ومن المعلوم أن الأحاديث المعتبرة عند الشيعة هي الواردة في كتب (١) «الكافي» لأبي جعفر محمد (٣٢٩ هـ)، و(٢) «من لا يستحضره الفقيه» للشيخ عليّ (٣٨١ هـ)، و(٣) «الاستبصار» للمؤلف ذاته، و(٤) «نهج البلاغة» للسيد الرضي (٤٠٦ هـ). لكن أهل السُّنة لم يعتمدوا على هذه الكتب، بل اعتمدوا على

نسخة عينة وهي صفحة رقم 182

ستة كتب أخرى وهي: (١) «الموطأ» لأنس بن مالك (٢) «صحيح» البخاري (٣) «صحيح» مسلم (٤) «سُنن» أبي داود سليمان (٥) «الجامع» للترمذي (٦) «السنن» لمحمد بن يزيد بن ماجة القزويني. ولكن علماء الإسلام أجمعوا على أن القرآن هو الوحي المتلو، والأحاديث هي الوحي غير المتلو. ومن القواعد المقررة أنه إذا خالف الحديث آية من آيات القرآن، وجب رفض الحديث، لأنهم يعتبرون القرآن كلام الله. غير أن فائدة الأحاديث هي بيان غوامض القرآن وتوضيح ما أُشكل والتبس منه. مثلاً ورد في سورة الإسراء ١٧: ١ «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى». فيلزم لفهم هذه الآية مراجعة الأحاديث، فهي توضح معنى المعراج وتشرحه كما هو معروف عند علماء الإسلام. وكذلك لولا الحديث ما فهم أحدٌ معنى «ق» (وهو اسم السورة رقم ٥٠ في القرآن). فالأحاديث هي التي أوضحت أن الحرف «ق» ٱسم جبل. ولهذا عزمنا، طلباً للاختصار، على ألَّا نورد في هذا الكتاب شيئاً يختصُّ بمصادر الإسلام من عقيدة إسلامية أو تعليم، إلَّا ما كان له أصل وأساس في القرآن ذاته، ويكون قد ورد له تفسير وشرح في الأحاديث المشهورة المتواترة بين كل المسلمين، سواء كانوا من أهل السُّنَّة أو الشيعة، لأننا نريد أن تعمَّ فوائد كتابنا هذا بين كل المسلمين، وأن نسهِّل تداوله بين أهل السُّنَّة وأهل الشيعة.

وقد اتَّفق علماء الإسلام على أن القرآن هو كلام الله، كَتَبَهُ سبحانه في اللوح المحفوظ قبل العالمين. ومع أنَّه حصلت في خلافة

المأمون وبعد خلافته مشاحنات حامية بخصوص قِدَم القرآن (مما لا لزوم إلى ذكره هنا) إلَّا أنَّ المسلمين أجمعوا على أن القرآن ليس من تأليفٍ بشري، بل قد أنزله الله كله على محمد بواسطة جبريل. وقال ابن خلدون تأييداً لهذا: «إن القرآن نزل بلغة العرب على أساليب بلاغتهم، وكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه من مفرداته وتراكيبه، وكان ينزل جُملاً جملاً وآيات آيات لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع، ومنها ما هو في العقائد الإيمانية، ومنها ما هو في أحكام الجوارح»[١]. وقال أيضاً: «ويدلُّك هذا كله على أن القرآن بين الكتب الإلٰهية إنَّما تلقَّاه نبيُّنا صلوات الله وسلامه عليه متلوّاً كما هو بكلماته وتراكيبه، بخلاف التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب السماوية، فإنَّ الأنبياء يتلقونها في حال الوحي معاني، ويعبّرون عنها بعد رجوعهم إلى الحالة البشرية بكلامهم المعتاد لهم، ولذلك لم يكن فيها إعجاز».[٢]

وقد اعتمد علماء الإسلام في اعتقادهم بأن القرآن أنزله الله في آيات قرآنية، مثل: «قُل الله شهيد بيني وبينكم، وأوحي إليَّ هذا القرآن لأنذركم به» (سورة الأنعام ٦: ١٩) فمن هذا يتَّضح أن القرآن يقول إنه ليس تصنيف محمد، وليس مجموعاً من تأليف البشر، بل هو كلام الله تماماً وكليةً، نزل على محمد من السماء في ليلة القدر «إنا أنزلناه في ليلة القدر» (سورة القدر ٩٧: ١). فإذا قبلنا هذا الشرح والبيان وجب الاعتراف بأن مصدر القرآن الوحيد وأصل الدين الإسلامي هو الله رب

١ - ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩١

٢ - ابن خلدون ج ١ ص ١٧١ و١٧٢

نسخة عينة 182 صفحة من 182

العالمين، وليس له مصدر خلاف ذلك. فإذا أمكن بالبحث والتحقيق إقامة الدليل أن أكثر القرآن وأغلب عقائده أُخذت من الأديان الأخرى، ومن الكتب التي كانت موجودة في أيام محمد ولا تزال موجودة حتى الآن، ينهار أساس الإسلام. وبما أن بعض المعترضين أكَّدوا أنه في استطاعتهم إقامة الأدلة والبراهين على ذلك، وجب على كل باحث عن الحق، وعلى كل مسلم حقيقي أن يبحث في هذه القضية الهامة، ليعرف: هل قول المعترضين صدق أم كذب؟ لأنه إذا استطاع دحض اعتراضهم أثبت صِدق دين الإسلام وأنه من عند الله. ولهذا السبب عزمنا على البحث في الاعتراضات، وفي تحقيق دعاوي من ذهب إلى أن كثيراً من تعاليم القرآن وعقائد الإسلام مأخوذ ومقتبس من الأديان الأخرى، ومن الكتب السابقة على القرآن.

نسخة عينة 39 صفحة من 182

٢

تأثيرات عرب الجاهلية

قال المعترضون إنَّه بما أن محمداً كان قد عزم على إنقاذ العرب وتحريرهم من عبادة الأصنام وهدايتهم إلى عبادة الله، وبما أنَّه كان يعرف أنَّهم كانوا في زمن إبراهيم مؤمنين بوحدانية الله، وبما أنهم حافظوا على كثير من العادات والفروض بطريق التوارث عن آبائهم الأتقياء، فإنَّه لم يُلزِمهم أن يتركوها كلها، بل بذل الجهد في إصلاح ديانتهم، وإبقاء كل عادة قديمة رأى أنها موافقة ومناسبة. فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ (سورة النساء ٤: ١٢٥)، وقال: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة آل عمران ٣: ٩٥)، وقال: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة الأنعام ٦: ١٦١). وبما أن محمداً ظنَّ أن العرب حافظوا من عصر إبراهيم على جميع عاداتهم وفروضهم، ما عدا عبادة الأصنام والشِرك ووأد البنات والأطفال وما شاكل ذلك من العادات الكريهة، أبقى كثيراً من هذه

نسخة عينة 182 من صفحة

العادات الدينية والأخلاقية في ديانته وحافظ عليها.

ومعروفٌ أن بعض قبائل جنوب بلاد العرب وشرقيها اختلطوا مع نسل حام بن نوح، وقال ابن هشام والطبري وغيرهما إن كثيرين من سكان جهات بلاد العرب الشمالية والغربية تناسلوا من سام بن نوح، وبعضهم تناسل من قحطان (يقطان)، وبعضهم تناسل من أولاد قطورة زوجة إبراهيم الثانية، وتناسل البعض الآخر (ومنهم قبيلة قريش) من إسماعيل بن إبراهيم. ولا ينكر أحد أن جميع القبائل التي تناسلت من ذرية سام كانوا يؤمنون بوحدانية الله. ولكن مع مرور العصور أخذوا الشرك وعبادة الأصنام من القبائل السورية وسكان الجهات المجاورة لهم، وأفسدوا ديانة أسلافهم، وفسدوا هم أنفسهم. ومع ذلك، لما نسيت جميع الأمم الأخرى (ما عدا اليهود) وحدانية الله، كان سكان الجهات الشمالية والغربية من شبه الجزيرة العربية متمسكين بالوحدانية تمسكاً راسخاً. والأرجح أن دخول عبادة الشمس والقمر والكواكب بين سكان تلك الجهات بدأ في عصر أيوب (أيوب ٣١: ٢٦ - ٢٨). وقال هيرودوت، أشهر مؤرخي اليونان (نحو ٤٠٠ ق م) إن العرب سكان تلك الجهات كانوا يعبدون معبودين فقط، هما «أُرُتال» و«الإلات»[٣]. وقصد هيرودوت بالمعبود «أُرُتال» الله، فإن هذا هو اسمه الحقيقي. ومع أن هيرودوت زار بلاد العرب، إلَّا أنه كان أجنبياً، فلم يتيسَّر له ضبط هذا الاسم، فحرَّفه لجهله باللغة العربية وتهجئتها والنطق بها. ومن الأدلة

٣ - تاريخ هيرودوت، كتاب ٣ فصل ٨

نسخة بجودة عالية 182

القوية الدالة على أن هذه التسمية (أي الله) كانت مشهورة ومنتشرة بين العرب قبل زمن محمد، أنه كثيراً ما ذُكر اسم الله في سبع معلَّقات العرب (وهي تأليف مشاهير شعراء العرب قبل مولد محمد، أو على الأقل قبل بعثته) فقد ورد في ديوان النابغة ما نصه:

لهم شيمةٌ لم يعطها اللهُ غيرَهم ... من الجود والأحلام غير مَوَازِبِ
محلَّتهم ذاتُ الإلهِ ودينُهم ... قويمٌ فما يَرجون غيرَ العواقبِ

وأيضاً:

ألم ترَ أنَّ اللهَ أعطاك سورةً ... ترى كل مَلِكٍ دونها يتذبذبُ
بأنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذا طلعَت لم يبْدُ منهنَّ كوكبُ

وأيضاً:

ونحن لديه نسألُ اللهَ خُلْدَهُ ... يردُّ لنا مُلكاً وللأرض عامراً
ونحن نزجّي الخُلد إن فاز قِدْحُنا ... ونرهبُ قِدحَ الموتِ إن جاء قاهراً

وقال لبيد في ديوانه:

لعمرِك ما تدري الضوارب بالحصى ... ولا زاجراتُ الطيرِ ما اللهُ صانعُ

وقد كانت الكعبة من قديم الأيام أقدس مسجد عند جميع قبائل العرب. قال ثيودور الصقلي، أحد مؤرخي اليونان (نحو ٦٠ ق م) إنَّ العرب كانوا يعتبرون الكعبة في ذلك الوقت مسجداً مقدساً[٤] وكان يطلق على هذا المقدس «بيت الله». ويُستدل من دخول أداة التعريف على

٤ - تاريخ ثيودور الصقلي كتاب ٣

نسخة عينة صفحة من 182

لفظ الجلالة أن العرب لم ينسوا عقيدة وحدانية الله، وأنه كان عندهم كثير من المعبودات، حتى أطلق عليهم القرآن بسببها اسم «المشركين» لأنهم أشركوا مع الله غيره من المعبودات وعبدوها، وظنوا أنها شريكة معه في الإكرام والعبادة. ولكنهم كانوا يقولون لا نعبد هذه المعبودات الثانوية كما نعبد الله الحي (الذي هو الله) بل بالعكس إنّا نعتبرهم شفعاء، ولنا الرجاء أن بشفاعتهم نستميل الله الحقيقي لإجابة طلباتنا. وقال الشهرستاني: «إن العرب كانوا يقولون الشفيع والوسيلة منّا إلى الله تعالى هم الأصنام المنصوبة، فيعبدون الأصنام التي هي الوسائل»[٥]. ومن الأدلة على أن عبَدة الأصنام كانوا يعتقدون بهذا، ما ورد في كتاب «المواهب اللدنية»: «قدِم نفرٌ من مهاجري الحبشة حين قرأ محمد ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (سورة النجم ٥٣: ١) حتى بلغ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ (٥٣: ١٩ و٢٠) ألقى الشيطان في أمنيته (أي في تلاوته) «تلك الغرانيق العُلى، وإن شفاعتهنَّ لَتُرتجى» فلما ختم السورة سجد (ص) وسجد معه المشركون لتوهُّمهم أنه ذكر آلهتهم بخير. وفشى ذلك بالناس وأظهره الشيطان حتى بلغ أرض الحبشة، ومَن بها مِن المسلمين: عثمان بن مظعون وأصحابه، وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم وصلوا معه (ص) وقد أمِن المسلمون بمكة، فأقبلوا سِراعاً من الحبشة».

وذكر ابن إسحق، وابن هشام، والطبري وكثيرون غيرهم من

٥ - الملل والنحل ص ١٠٩

182 نسخة عينة 39 صفحة من

٣

تأثيرات الصابئين واليهود

لما شرع محمد في ادِّعاء النبوة، وبذل كل ما في وسعه لإبعاد قومه عن عبادة الأصنام وإرجاعهم إلى دين إبراهيم، لم يكن عند العرب كتاب وحي إلٰهي يُعوِّل عليه جميع قبائل العرب أو يتخذونه قانوناً ودستوراً لهم. فكان يصعب جداً إصلاح ما فسد واختل من ديانتهم، وكان رأب هذا الصدع في غاية الصعوبة. ومع ذلك فقد كان بينهم ثلاث طوائف تتداول كتباً دينية هي الصابئون، واليهود، والنصارى، لكل طائفة منها نفوذ وشأن في الديانة الإسلامية، التي كانت في ذلك العصر شبيهة بطفل مولود حديثاً.

الصابئون:

لم يبقَ أثرٌ لديانة الصابئين، فقال أبو الفداء في كتابه «التواريخ القديمة من المختصر في أخبار البشر»:

«ذكر أمة السريان والصابئين من كتاب أبي عيسى المغربي قال:

نسخة عينة 30 صفحة من 182

أمة السريان هي أقدم الأمم، وكان كلام آدم وبنيه بالسرياني، وملّتهم هي ملة الصابئين، ويقولون إنَّهم أخذوا دينهم عن شيث وإدريس، ولهم كتاب يعزونه إلى شيث يذكر فيه محاسن الأخلاق، مثل الصدق والشجاعة والتعصب للغريب، وما أشبه ذلك. ويذكر الرذائل ويأمر باجتنابها. وللصابئين عبادات منها سبع صلوات، منهن خمسٌ توافق صلوات المسلمين، والسادسة صلاة الضحى، والسابعة صلاة يكون وقتها في تمام الساعة السادسة من الليل. وصلواتهم كصلاة المسلمين من النية وأن لا يخلطها المصلي بشيء من غيرها. ولهم الصلاة على الميت بلا ركوع ولا سجود. ويصومون ثلاثين يوماً، وإن نقص الشهر الهلالي صاموا تسعة وعشرين يوماً. وكانوا يراعون في صومهم الفطر والهلال، بحيث يكون الفطر وقد دخلت الشمس برج الحمل. ويصومون من ربع الليل الأخير إلى غروب قرص الشمس. ولهم أعياد عند نزول الكواكب الخمسة المتحيرة بيوت أشرافها. والخمسة المتحيرة هي زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد. ويعظمون بيت مكة».

فيتضح من هذا أن المسلمين أخذوا من قدماء الصابئين الصيام والصلوات الخمس وغيرها من الفرائض المفروضة عليهم.

اليهود:

كان لليهود في عصر محمد، ولا سيما قبل الهجرة، سطوة عظيمة في بلاد العرب، وكانوا أيضاً كثيري العدد. ومن أشد القبائل اليهودية

نسخة تجريبية 32 صفحة من 182

٤

تأثيرات الفرق النصرانية الضالة

في عصر محمد عاش كثيرون من النصارى في بلاد العرب، منغمسين في الجهالة والبدع والضلالة. ولما طُرِد كثيرٌ منهم من حدود مملكة الروم بسبب تعاليمهم الفاسدة لجأوا إلى بلاد العرب. ولما لم تكن لهم معرفة كثيرة بالإنجيل تداولوا بعض الكتب الملفَّقة الملآنة من الخرافات التي لا أصل لها يتلونها ويروون القصص المدونة فيها ويتناقلونها.

وقال الناقدون لدين الإسلام إنَّ محمداً لم يكن له إلمام تام بالإنجيل الشريف، وإنه اختلط مع أصحاب هذه البدع، فتوهَّم أنَّ ما سمعه منهم كان مدوَّنَاً في الإنجيل. وبما أنَّه وجَّه نظره لتأسيس دين يدين به جميع سكان شبه جزيرة العرب، ويتَّحدون بواسطته ويصيرون جماعة واحدة، قبِل كثيراً من خرافات جهلة النصارى ومذاهبهم الفاسدة وأدخلها في قرآنه. وبما أنَّه لا يصح تصديق رأي هؤلاء المعترضين بدون النظر والفحص، رأينا أن نتحرى بالتدقيق هذه القضية في هذا الفصل، لنعرف إن كانت مثل هذه الخرافات هي أحد مصادر الإسلام أم لا.

نسخة عبدة ووجه صفحة من 182

(١) قصة أصحاب الكهف:

ويسميها المسيحيون «السبعة النيام». وقد وردت في سورة الكهف ١٨: ٩ - ٢٦، وهي إحدى خرافات اليونان الواردة في كتاب لاتيني اسمه «مجد الشهداء» تأليف غريغوريوس (كتاب ١ فصل ٩٥). وتقول القصة إنَّه لما كان «دِكيوس» إمبراطور روما يضطهد المسيحيين بغاية القسوة ليمحو حتى اسمهم من أذهان الناس، هرب سبعة شبان من سكان مدينة أفسس (التي لا تزال أطلالها باقية إلى الآن في تركيا) واختبأوا في كهف قريب من تلك المدينة، فناموا نحو ٢٠٠ سنة تقريباً، لأنهم دخلوا الكهف في عهد «دَكيوس» (بين سنة ٢٤٩ و٢٥١م) ولم يخرجوا منه ثانية إلَّا في سنة ٤٤٧ في ولاية الملك ثيودوسيوس الثاني. فلما استيقظوا ورأوا أن المسيحية قد انتشرت انتشاراً عظيماً في تلك المدة ذهلوا، لأنهم لما ناموا كان الناس يعتبرون الصليب علامة احتقار وعار، ولما استيقظوا رأوه يتلألأ على تاج الإمبراطور وعلى أعلام مملكته، وأن جميع رعايا المملكة الرومانية قد دانوا بالمسيحية، وأن هذه الديانة كادت تزيل غيرها من الأديان.

ولا شك أن قصة السبعة النيام خرافة. ولكن بعض ذوي العقول الوقادة قالوا إنَّها لا تخلو من حكمةٍ وفائدة. ولم يقصد واضع هذه الرواية إضلال الناس وغشهم، بل أوردها على سبيل المجاز، ليُظهِر لقارئها انتشار الديانة المسيحية بسرعة عجيبة بنعمة الروح القدس وبسفك دماء الشهداء. ولا يُحتمل أن مسيحياً يتوهَّم حدوث هذه

القصة حرفياً، بل إن جميع المسيحيين يعتقدون أنها قصة رمزية. غير أن محمداً اقتبسها وأوردها في قرآنه وعلّمها لصحابته كأنها حكاية حقيقية. وبما أنَّه لا أصل لهذه القصة فمن الواضح أن الله العليم الحكيم لم يكتبها في لوح محفوظ، بل أخذها محمد من روايات بعض جهلة النصارى.

(٢) قصة مريم:

ورد في سورة مريم ١٩: ٢٧ و٢٨ أن مريم أتت إلى قومها بعد ولادة المسيح فقالوا لها: ﴿يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً. يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً﴾. فيتضح من هذا أن محمداً قال إنَّ العذراء مريم هي أخت هٰرون وموسى. وما يزيد هذا الأمر وضوحاً ما ورد في سورة التحريم ٦٦: ١٢ ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَةَ عِمْرَانَ﴾ (وهكذا في سورة آل عمران ٣: ٣٥). وجاء في سورة الفرقان ٢٥: ٣٥ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً﴾ فثبت من هذا أن عمران وموسى وهرون ومريم هم ذات الأشخاص الذين ورد ذكرهم بهذه الأسماء في أسفار موسى الخمسة، ولو أن التوراة قالت إن الاسم هو «عمرام» عوضاً عن «عمران» كما في سفر العدد ٢٦: ٥٩ «وَٱسْمُ ٱمْرَأَةِ عَمْرَامَ يُوكَابَدُ بِنْتُ لَاوِي ٱلَّتِي وُلِدَتْ لِلَاوِي فِي مِصْرَ، فَوَلَدَتْ لِعَمْرَامَ هَارُونَ وَمُوسَى وَمَرْيَمَ أُخْتَهُمَا». وورد في سفر الخروج ١٥: ٢٠ أن «مريم النبية» كانت «أخت هرون» كما رأينا في سورة مريم حيث قيل: «يا مريم.. يا أخت هٰرون». فلا شك أن محمداً توهَّم أن مريم أخت هٰرون التي كانت أيضاً ابنة عمرام (أي عمران) هي نفس

نسخة عينة 182 من 300 صفحة

مريم العذراء التي صارت أم المسيح بعد ذلك بنحو ١٥٧٠ سنة! وهذا القول يشبه الرواية الواردة في «الشاهنامة» بخصوص فَريدون وأختي جمشيد، فقد جاء فيها أنَّه بعد أن هزم فريدونُ الضحاكَ واستولى على بيته وجد فيه أختي جمشيد اللتين أقامتا في بيت الضحاك من أوائل حكم الضحاك، نحو ألف سنة تقريباً من قبل ذلك. فلما رآهما فريدون راعه جمالهما إلى آخر تلك الحكاية. وقد حاول بعض المفسرين المسلمين أن يفنِّدوا هذا البرهان الذي أُقيم ضد القرآن، ولكنهم عجزوا. وربما كان سبب هذا الغلط أنَّه ورد في إحدى خرافات اليهود عن مريم أخت هٰرون: «إن ملاك الموت لم يتسلط عليها، بل ماتت بقُبلة إلٰهية. ولم يتسلط عليها الدود ولا الحشرات». وعلى كل حال فهذا خطأ جسيم، لأنه لم يقل أحد من اليهود إنَّ مريم هذه بقيت على قيد الحياة إلى أيام المسيح.

وقد وردت في القرآن معلومات كثيرة عن العذراء مريم تخالف ما ورد في الأناجيل الأربعة الصحيحة، لأن روايات القرآن مأخوذة من خرافات أصحاب البدع والضلالة، فقد ورد فيه: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَةُ عِمْرَانَ: رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا، فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ. فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ: رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى، وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ، وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ، وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ. فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا. وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا. كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا

نسخة عينة 39 صفحة من 182

رِزْقًا قَالَ: يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هٰذَا؟ قَالَتْ: هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ، إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (سورة آل عمران ٣: ٣٥ - ٣٧).

وقال البيضاوي وغيره من المفسرين إنَّ امرأة عمران كانت عاقراً عجوزاً، فلما رأت مرة طيراً يطعم فرخهُ حنَّت إلى الذرية وتوسَّلت إلى الله أن يرزقها ولداً، وقالت: اللهم إن رزقتني ولداً ذكراً أو أنثى فأقدِّمه كهبةٍ في حضرتك لبيت المقدس. فأجاب المولى طلبها، فحملت وولدت بنتاً هي مريم. وقال جلال الدين: بعد مضي سنين حملت أم مريم، وكان اسمها حنة، فأتت بابنتها إلى المسجد وسلَّمتها إلى الأحبار سَدَنة بيت المقدس، فقالت: دونكم هذه النذيرة. فتنافسوا فيها لأنها بنت إمامهم. فأخذها زكريا وبنى لها غرفة في المسجد بسُلَّم لا يصعد عليه غيره، وكان يأتيها بأكلها وشربها فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، فإن ملاكاً كان يأتيها بأكلها، ثم ورد في هذه السورة: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ ٱلْعَالَمِينَ. يَا مَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ. ذٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ. إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ. وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ. قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (سورة آل عمران

٣: ٤٢ - ٤٧). وقال البيضاوي والجلالان عن الاقتراع وإلقاء الأقلام إنه لما تنافست الأحبار قال زكريا: أنا أحقُّ بها، فقالوا: لا حتى نقترع. فانطلق زكريا وستة وعشرون إلى نهر الأردن وألقوا أقلامهم في الماء على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها، فثبت قلم زكريا. فأخذ مريم وتكفَّل بها. فورد في سورة مريم ١٩: ١٦ - ٣١

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً، فَٱتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً، فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً. قَالَتْ: إِنِّي أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَانِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً. قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً. قَالَتْ: أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً؟ قَالَ: كَذٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا، وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً. فَحَمَلَتْهُ فَٱنْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً. فَأَجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ. قَالَتْ: يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هٰذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً. فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي، قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً، وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً، فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي: إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنْسِيّاً. فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ. قَالُوا: يَا مَرْيَمُ، لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً. يَا أُخْتَ هَارُونَ، مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ، وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً. فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ، قَالُوا: كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيّاً؟ قَالَ: إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ آتَانِيَ ٱلْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً» (سورة مريم ١٩: ١٦ - ٣٠) فهذه هي قصة مريم حسب ورودها في القرآن وفي كتب أقدم مفسِّري المسلمين.

نسخة غير قابلة للبيع 182

وقال المحققون المدققون إنَّ هذه الأمور لم تؤخذ من الأناجيل الصحيحة، بل أُخذت من كتب الخرافات التي كانت متداولة في الأزمنة القديمة بين أصحاب البدع الباطلة. وبما أنَّنا لا نقبل قولاً بدون براهين كافية وجب علينا أن نمعن النظر في الأدلة التي يقيمونها، وهي:

ورد في كتاب «بروت يوأنجيلون»[٣٦] ليعقوب الصغير (أصحاحات ٣ - ٥) «فرفعت حنة عينيها إلى السماء فرأت عش عصافير في شجرة غار، فتنهدت قائلة: «يا أحاح يا أحاح، من ولدني أح أح.. ومن أُشبِه؟ فلستُ مثل طيور السماء لأن طيور السماء أيضاً هي ذات ثمار أمامك يا رب».. وإذا بملاك الرب وقف بجانبها قائلاً لها: يا حنة، إنَّ الرب استجاب طلباتك فستحبلين وتلدين ويُذاع صيت نسلك في جميع أنحاء العالم. فقالت حنة: حيٌّ هو الرب إلٰهي، إذا ولدت ذكراً كان أو أنثى نذرته للرب إلٰهي وسيخدمه طول أيام حياته.. وتمَّت أشهرها وولدت حنة في الشهر التاسع.. وأرضعت الطفلة وسمَّتها مريم».

وورد في كتاب عربي تافه يسمى «قصة نياحة أبينا القديس الشيخ النجار» (فصل ٣) بخصوص مريم: «قدَّمها أبواها إلى الهيكل وهي ابنة ثلاث سنين، وأقامت في هيكل الرب تسع سنين. ولما رأى الكهنة العذراء القديسة المتَّقية الرب قد نشأت، خاطبوا بعضهم بعضاً قائلين: سلوا عن رجل يخاف الله لتودعوا عنده مريم إلى زمان العرس لئلا تبقى في الهيكل».

---

٣٦ - انظر الملحق رقم ٣٢

نسخة عينة 182 من صفحة من 300

ولكن قبل ذلك لما أحضر والدا مريم ابنتهما إلى الهيكل حدثت أشياء أخرى وردت في سياق القصة في «البروت يوأنجيليون» (أصحاحات ٧ - ٩ و١١):[٣٧] «إن الكاهن قبلها وقبلها وباركها قائلاً إن الرب الإلٰه عظَّم اسمك بين جميع أجيال الأرض، وعليك في آخر الأيام يعلن الرب الإلٰه فداء بني إسرائيل.. وربيت مريم كحمامة في هيكل الرب، وكانت تتناول الأكل من يد ملاك حتى ١٢ سنة من العمر. ثم التأم مجلس الكهنة فقالوا: إذا بلغت مريم اثنتي عشرة سنة من العمر في هيكل الرب، فما الذي يجب فعله بها؟. فوقف ملاك الرب بجانب زكريا وقال له: يا زكريا، اخرج واجمع أرامل القوم، وليأت كل واحد بقلم، ومن يريه الرب الإلٰه علامة تكون زوجةً له. فخرج المنادون في جميع نواحي اليهودية وبوَّقوا ببوق الله، فأتى الجميع مسرعين. فألقى يوسف قدّومه أيضاً وولج في المجلس. ولما اجتمعوا توجَّهوا إلى الكاهن، فأخذ الكاهن أقلام الجميع ودخل الهيكل وصلَّى. ولما تمَّت صلاته خرج وردَّ لكل واحد قلمه، فلم تظهر علامة فيه، غير أن يوسف أخذ القلم الأخير، فخرجت من القلم حمامة وطارت على رأس يوسف. فقال له الكاهن صار لك حق بواسطة القرعة أن تتخذ عذراء الرب، فخُذها وديعة عندك.. ولما كان يوسف منزعجاً أخذها وديعة عنده.. فأخذت مريم جرَّة وخرجت لتملأها ماء، وإذا بصوت قائل: السلام لك أيَّتُها المُنعَم عليها. الرب معك. مباركة أنتِ في النساء. فأخذت تلتفت يميناً ويساراً لترى من أين أتى هذا الصوت. ولما انزعجت توجهت إلى بيتها ولما وضعت

٣٧ - انظر الملحق رقم ٣٢

٥

تأثيرات زردشتية في القرآن والحديث

قال مؤرخو العرب إنَّ ملوك الفُرس كانوا متسلطين على كثير من ممالك العرب، قبل مولد محمد وفي عصره أيضاً. قال أبو الفداء إنَّ «كسرى أنوشروان» أرسل جيوشه إلى مملكة الحيرة وعزل ملكها «الحارث» وولى عوضاً عنه أحد رعاياه اسمه «منذر ماء السماء». وبعد ذلك أرسل هذا الملك المشهور جيشه تحت إمرة «وهرز» إلى بلاد اليمن. وكان أوَّل ما فعله بعد ذلك أنه طرد الحَبَش وولى «أبا السيف» على مملكة أسلافه (انظر تاريخ أبي الفداء باب ٢). ولكن بعد قليل تولى «وهرز» نفسه على مملكة اليمن، وسلَّم لذريته السيادة (سيرة الرسول لابن هشام ص ٢٤ و٢٥). وقال أبو الفداء: «كانت المناذرة آل نصر بن ربيعة عمالاً للأكاسرة على عرب العراق» (باب ٢). وقال عن اليمن: «ثم ملك اليمن بعدهم (أي أهل الحِمْيَر) من الحبشة أربعة، ومن الفُرس ثمانية، ثم صارت للإسلام».

فيتضح من هذا أنه كان بين أهل الفُرس وبين العرب تواصلٌ واختلاط زمن أيام محمد، وقبله. وبما أن الفُرس كانوا متقدمين في

نسخة عينة من صفحة 182

العلوم والمدنيَّة أكثر من العرب في زمن الجاهلية، كان لابدّ أنَّ دينهم وعلومهم وعاداتهم وفروضهم أثَّرت تأثيراً عظيماً في العرب. ويتضح من التواريخ ومن شهادة مفسِّري القرآن أنَّ قصص العجم وأشعارهم تواترت في ذلك الوقت بين قبائل جزيرة العرب، فتداولوها تداولاً عاماً. وهذا يوافق قول ابن هشام إنَّ العرب لم يسمعوا في عصر محمد قصص رستم وأسفنديار وملوك فارس القدماء فقط، بل إن بعض قريش استحسنوها وفضَّلوها على قصص القرآن. وهاك نص عبارة ابن هشام: «والنصر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي كان إذا جلس رسول الله مجلساً فدعا فيه إلى الله تعالى وتلا فيه القرآن وحذر قريشاً ما أصاب الأمم الخالية، خلفه في مجلسه إذ قام، فحدَّثهم عن رستم الشديد وعن أسفنديار وملوك فارس، ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلَّا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبتُها» فأنزل الله فيه ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً. قُلْ أَنْزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (سورة الفرقان ٢٥: ٥ و٦). ولاشك أنَّ هذه القصص عن رستم وأسفنديار وملوك فارس هي القصص التي أخذها الفردوسي بعد محمد بأجيال من مجموعة قصص لأحد الفلاحين ونظمها شعراً، ودُوِّنت في «الشاهنامة». وبما أن العرب طالعوا قصص ملوك الفُرس وتواريخهم، فلا نتصور أنَّهم كانوا يجهلون قصة جمشيد ويجهلون خرافات الفرس عن معراج أرتاويراف وزردشت، ووصف الفردوس، وصراط جينود، وشجرة حوابة، وقصة خروج أهرمن من الظلمات

نسخة عينة 39 صفحة من 182

(٧) ختام الكلام:

وإذا قال قائل لا يصح أنَّ محمداً استحسن استحساناً تاماً قصص الزردشتية وفروضهم حتى أدرجها في القرآن والأحاديث، لأنَّه لا يُتصوَّر أنَّ هذا النبي الأمي يعرف كل هذه الأشياء. قلنا إنَّ المعترضين ردوا على هذا بثلاثة أفكار:

أوَّلاً: ورد في «روضة الأحباب» أنَّ محمداً اعتاد محادثة ومسامرة ومحاورة كل من يقصدونه على اختلاف مللهم ونحلهم، وكان يخاطبهم بألفاظ قليلة من لغتهم. وبما أنَّه كان كثيراً ما يتكلَّم بالفارسية تداولت بعض الألفاظ الفارسية في اللغة العربية.

ثانياً: إذا ثبت مما تقدَّم أن محمداً استحسن خرافات اليهود وروايات العرب الوثنيين عبدة الأصنام وفروضهم حتى أدرجها في القرآن، فما الفرق بين هذا وبين استحسانه لقصص الفُرس؟ أما القصص الكثيرة الواردة في القرآن فكانت متواترة بين العرب تواتراً عظيماً حتى قال الكِنْدي عنها: «فإن ذكرتَ قصة عاد وثمود والناقة وأصحاب الفيل ونظائر هذه القصص، قلنا لك: هذه أخبار باردة وخرافات عجائز الحي اللَّواتي كنَّ يدرسنها ليلهن ونهارهن».

ثالثاً: جاء في «السيرة» لابن هشام وابن إسحق أنَّه كان من صحابة محمد شخص فارسي اسمه سلمان، وهو الذي أشار على محمد وقت حصار المدينة بحفر الخندق فتبع نصيحته. وكان سلمان الفارسي

أوَّل من أشار على محمد باستعمال المنجنيق في غزوة ثقيف الطائف. وأكد أعداء محمد في عصره أنَّ سلمان هذا ساعد محمداً على تأليف القرآن، فقد قيل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ ٱلَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (سورة النحل ١٦: ١٠٣). فإذا قال المعارضون الأوَّلون لمحمد إنَّ هذا العجمي أو الفارسي المسلم كان سبب حُسن تأليف القرآن وفصاحة عباراته، فهذا الجواب يكفي لدحض أقوالهم.

ولكن بما أنَّه ثبت أنَّ كثيراً مما ورد في القرآن وفي الأحاديث يطابق مطابقة غريبة ما ورد في كتب الزردشتية، فهذه الآية القرآنية لا تكفي لدحض الاعتراض الذي تبرهن الآن ببراهين قوية. بل نقول إنَّ هذه الآية التي أوردناها تدل على أنَّه كان قد اشتهر في عصر محمد أنَّ سلمان الفارسي ساعد محمداً على التأليف وأفاده بحقائق كثيرة. وعليه فنحن مُلزَمون أن نسلم أنَّ كتب الزردشتية كانت مصدراً من المصادر التي اتَّخذت الديانة الإسلامية بعضها.

نسخة مجانية 39 صفحة من 182

٦

تأثيرات الحُنفاء على الإسلام

قبل ظهور محمد وادِّعائه النبوَّة سئمت نفوس بعض العرب من عبادة الأصنام، فأخذوا يبحثون عن الدين الحقيقي. ولما عرفوا من اليهود، وربما بعض أخبار وصلت إليهم بالتقاليد والتواتر من الأزمنة القديمة أنَّ إبراهيم كان يعتقد بوجود الله الحي الحقيقي الوحيد، أخذ بعض العرب المقيمين في مكة والمدينة والطائف في البحث لمعرفة دين خليل الله، ونبذوا عبادة الأصنام. فكانوا يسمون الذين وجَّهوا أنظارهم وأفكارهم إلى هذه القضية المهمة «الحُنَفَاء» ومن هؤلاء أبو أمير وأصحابه في المدينة، وأمية بن زلط في الطائف، وأربعة من سكان مكة، هم: ورقة وعبيد الله وعثمان وزيد. فقال المعترضون إنَّ آراء هؤلاء الحنفاء وقدوتهم ومثالهم ومحادثتهم مع محمد، ولا سيَّما زيد بن عمرو أثَّر في أفكار محمد تأثيراً عظيماً وأثَّر في ديانته. واستدلوا على تأييد أقوالهم بما ورد في القرآن ذاته. ولكي يتأكد مطالعو كتابنا هذا من صحة هذا القول أو خطئه يجب عليهم أن يطالعوا ما قاله ابن إسحق وابن هشام بخصوص حُنفاء مكة. ومع أنَّ كثيرين ألَّفوا كتباً في سيرة محمد، إلَّا أنَّ

نسخة عينة 182 صفحة من 500

كتاب السيرة لابن هشام هو أجدر هذه الكتب بالاعتماد، لأنه أقدمها وأقربها إلى عصر محمد. وأوَّل من جمع أقوال محمد وأفعاله هو الزهري، الذي تُوفي سنة ١٢٤ هـ، فنقل أخباره من التواتر الذي أخذه عن الصحابة ولا سيَّما من «عروة» أحد أقرباء عائشة. ولا شك أنَّه مع مرور سنين عديدة عبث به العابثون فدخلت في أخبارهم الأغلاط والمبالغات. ولو كان كتاب الزهري موجوداً اليوم لأفاد المحقِّقين الذين يودّون معرفة حقائق الأمور بخصوص محمد، لأنَّ هذا الكتاب هو أقدم من غيره، فيكون جديراً بالاعتماد أكثر من أي كتاب آخر كُتب عن سيرة محمد. ومع أن كتاب الزهري ضاع ولم يبقَ له أثر، إلَّا أنَّ ابن إسحق (الذي تُوفي سنة ١٥١ هـ) كان أحد تلاميذ الزهري. فابن إسحق ألَّف كتاباً آخر في هذا الصدد، ونقل ابن هشام (الذي توفي سنة ٢١٣ هـ) في كتابه المسمى «سيرة الرسول» أجزاء كثيرة منه. فاعتمادنا إذاً في نقل أخبار الحُنفاء هو على كتاب «السيرة» لابن هشام، وقد ورد فيه:

«قال ابن إسحاق: واجتمعت قريش يوماً في عيدٍ لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظّمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويديرون به. وكان ذلك عيداً لهم، في كل سنة يوماً. فخلص منهم أربعةُ نفرٍ نجياً. ثم قال بعضهم لبعضٍ: تصادقوا، وليكتم بعضكم على بعض. قالوا: أجَل. وهم: ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى بن قصي بن كلاب بن مِرّة بن كعب بن لؤي؛ وعبيد الله بن جحش بن رئاب بن عامر بن صيرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، وكانت أمُّه أميمة

كان قد وعد بأن يبارك إسماعيل بالرخاء الدنيوي، وقال لإبراهيم: «بَلْ سَارَةُ ٱمْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ٱبْنًا وَتَدْعُو ٱسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. ٱثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً. وَلٰكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ ٱلَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هٰذَا ٱلْوَقْتِ فِي ٱلسَّنَةِ ٱلْآتِيَةِ». (أما الاثنا عشر رئيساً فنجد أسماءهم في سفر التكوين ٢٥: ١٣ - ١٦). وقال الله لإبراهيم ثانية: «وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ ٱلْأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي» (تكوين ٢٢: ١٨) (يعني لأنك رضيت أن تقدم ابنك إسحق ذبيحة لله). وقال المسيح لليهود مشيراً إلى هذا الوعد وإلى اعتماد إبراهيم عليه: «أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ» (يوحنا ٨: ٥٦). وقال بولس الرسول بالوحي الإلهي: «وَأَمَّا ٱلْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لَا يَقُولُ: «وَفِي ٱلْأَنْسَالِ» كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ: «وَفِي نَسْلِكَ» ٱلَّذِي هُوَ ٱلْمَسِيحُ.. فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ، فَأَنْتُمْ إِذًا نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَسَبَ ٱلْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ.» (غلاطية ٣: ١٦ و٢٩).

نطلب من الرحمن الرحيم الهادي الحكيم الذي أنجز وعده الأزلي بأن أرسل المسيح فوُلد من ذرية إبراهيم ومات عن خطايانا وقام لتبريرنا أن يوفقنا جميعاً للتمتُّع بهذا الخلاص العظيم والميراث الثمين فنحظى بالمجد الدائم والابتهاج الكامل بفضل نعمته وكرمه وفضله. إنه القدير على الإجابة. آمين.

نسخة عينة 39 صفحة من 182

١

Περιτέμνεται ... πᾶς Σῦρος καὶ Ἄραψ
καὶ πάντες οἱ ἱερεῖς τῶν εἰδώλων.

٢

הָיוּ אָדָם וְצִיּוּרוֹ יוֹשְׁבִים וּבוֹכִים
וּמִתְאַבְּלִים עָלָיו וְלֹא הָיוּ יוֹדְעִים מָה
לַעֲשׂוֹת לְהֶבֶל שֶׁלֹּא הָיוּ נְהוּגִים בְּקִבּוּרָה:
בָּא עֹרֵב אֶחָד שֶׁמֵּת לוֹ אֶחָד מֵחֲבֵרָיו
לָקַח אוֹתוֹ וְחָפַר בָּאָרֶץ וּטְמָנָהּ לְעֵינֵיהֶם:
אָמַר אָדָם כָּעוֹרֵב אֲנִי עֹשֶׂה: מִיָּד לָקַח
גְּבֶלְתּוֹ שֶׁל הֶבֶל וְחָפַר בָּאָרֶץ וּטְמָנָהּ

٣

מָצִינוּ בְקַיִן שֶׁהָרַג אֶת־אָחִיו נֶאֱמַר בּוֹ
קוֹל דְּמֵי אָחִיךָ צֹעֲקִים אֵינוֹ אוֹמֵר דָּם

אָחִיךָ אֶלָּא דְּמֵי אָחִיךָ דָּמוֹ וְדַם זַרְעוֹתָיו

לְפִיכָךְ נִבְרָא אָדָם יְחִידִי לְלַמֶּדְךָ שֶׁכָּל־

הַמְאַבֵּד נֶפֶשׁ אַחַת מִיִּשְׂרָאֵל מַעֲלֶה עָלָיו

הַכָּתוּב כְּאִלּוּ אִבֵּד עוֹלָם מָלֵא וְכָל־

הַמְקַיֵּם נֶפֶשׁ אַחַת מִיִּשְׂרָאֵל מַעֲלֶה

עָלָיו הַכָּתוּב כְּאִלּוּ קִיֵּם עוֹלָם מָלֵא:

ג

תֹּרָה עֲבֵד לְצַלָּמִים הָיָה: חַד וְתַנָּן

וְפַק לַאֲתַר הוֹשִׁיב לְאַבְרָהָם מִכֹּר תַּחְתָּיו:

הֹוָה אָתֵי בַּר אֱנָשׁ בָּאֵידְוְזַבַּן וַהֲוָה אָמַר

לֵהּ בַּר כַּמָּה שְׁנִין אַתְּ וַהֲוָה אָמַר לֵהּ

בַּר חַמְשִׁין אוֹ שִׁתִּין וַהֲוָה אָמַר לֵהּ

וַיֵּלֶךְ לְהַהוּא גַּבְרָא דַּהֲוָה בַּר שִׁתִּין

וּבָעֵי לְמִסְגַּד לְבַר יוֹמֵי וְהָיָה מְתַבַּיֵּשׁ
וְהוֹלֵךְ לוֹ: חַד זִמְנָן אֲתָת חֲדָא אִתְּתָא
שְׁיָנָא בִּידָהּ חֲדָא פִּינַךְ דְּסִלְתָּא: אֲמְרַת
לֵיהּ הָא לָךְ קָרֵב קִדְמֵיהוֹן: קָם נְסֵב
בְּקִלְסָא בִּידֵיהּ וְתַבְּרִינְהוֹן לְכֻלְּהוֹן פְּסִילַיָּא
וְיָהֵב בְּקִלְסָא בִּידָא דְּרַבָּא דַּהֲוָא
בֵּינֵיהוֹן: כְּווֹן דַּאֲתָא אֲבוּהִי אֲמַר לֵיהּ
מָן עֲבַד לְהוֹן כְּדֵין: אֲמַר לֵיהּ מָה
נְכַפֵּר מִנָּךְ: אֲתָת חֲדָא אִתְּתָא שְׁיָנָא
לָהּ חֲדָא פִּינַךְ דְּסִלְתָּא וַאֲמְרָה לִי הָא לָךְ
קָרֵב קִדְמֵיהוֹן: קָרֵבְתְּ לְקִדְמֵיהוֹן: הֲוָה
דֵּין אֲמַר אֲנָא אֵיכֹל קַדְמֵי וְדֵין אֲמַר
אֲנָא אֵיכֹל קַדְמַי קָם הָדֵין רַבָּא דַּהֲוָה

Ἀδάμ, διότι θεωρεῖ τὰς ψυχὰς σωζομένας· καὶ ὅταν ἴδῃ ψυχὰς πολλὰς εἰσερχομένας διὰ τῆς πλατείας πύλης, τότε ἀνασπᾷ τὰς τρίχας τῆς κεφαλῆς αὐτοῦ καὶ ῥίπτει ἑαυτὸν λίμαι, κλαίων καὶ ὀδυρόμενος πικρῶς· διότι ἡ πύλη ἡ πλατεῖα τῶν ἁμαρτωλῶν ἐστιν, ἡ ἀπάγουσα εἰς τὴν ἀπώλειαν καὶ εἰς τὴν κόλασιν τὴν αἰώνιον.

٤٤

Εὐκοπώτερον γάρ ἐστι κάμηλον διὰ τρυμαλιᾶς ῥαφίδος εἰσελθεῖν, ἢ πλούσιον εἰς τὴν βασιλείαν τοῦ Θεοῦ εἰσελθεῖν.

٤٥

Ἃ ὀφθαλμὸς οὐκ εἶδε καὶ οὖς οὐκ ἤκουσε, καὶ ἐπὶ καρδίαν ἀνθρώπου οὐκ ἀνέβη, ὅσα ἡτοίμασεν ὁ Θεὸς τοῖς ἀγαπῶσιν αὐτόν.

٤٦

ہم نے دیکھا کہ ہر ایک کی زبان پر یہی
تھا کہ ... اس کے ساتھ کیا ہوا؟ اس
کی بیوی کہاں ہے؟ اس کے بچے کہاں
ہیں؟ اس کا کاروبار کون سنبھالے گا؟
اس کے گھر کا خرچ کیسے چلے گا؟
وغیرہ وغیرہ۔

٤٧

اس کے بعد ہم نے دیکھا کہ ہر
شخص اس کی بیوی کے پاس جا رہا ہے
اور اس کے بچوں کو دیکھ کر رو رہا ہے
اور اس کی بیوی کو تسلی دے رہا ہے
کہ وہ فکر نہ کرے وہ اس کے بچوں کو
پالے گا اور اس کا کاروبار بھی سنبھال
لے گا اور اس کے گھر کا خرچ بھی
چلائے گا وغیرہ وغیرہ۔

ومن الرجال من ... ومن النساء من
كان يحب أن يكون رئيسًا أو زعيمًا
لقد حاول ... فلم ينجح ... وقد تكون
نفسه لم تطاوعه ... أو لم يجد الفرصة
سانحة ... أو لم يجد من يعاونه ...
ومن الناس من يكون رئيسًا بالفطرة
ولكنه لا يريد أن يكون رئيسًا ...
ومن الناس من يكون رئيسًا بالفطرة
ولكنه لا يريد أن يكون رئيسًا ...
ومن الناس من يكون رئيسًا بالفطرة
ولكنه لا يريد أن يكون رئيسًا ...